جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

خصوصية استعمال المفردة القرآنية ألفاظ القرابة أنموذجاً

الدكتور

ناصر محمود صالح النواصرة

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية- جامعة حائل- السعودية

العدد الثامن عشر

للعام ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

الجزء الأول

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٤م

الترقيم الدولى : ٩٠٥٠ / ب ٢٣٥٦ ISSN

الملخص باللغة العربية

خصوصية استعمال المفردة القرآنية، ألفاظ القرابة أنموذجاً .

تناولت الدراسة جانياً من الأسلوب القرآني متمثلا في استعمال بعض الألفاظ التي تبدو مترادفة، وتتبع سياقاتها المختلفة، وقد تم اختيار ألفاظ القرابة أنموذجا لذلك، باعتبارها إحدى الوحدات القرآنية التي تفاوتت دلالتها حسب السياق، وهو أحد أوجه إعجاز القرآن اللغوي، بانتقائه للألفاظ انتقاء محكماً، في اختيار لفظ دون نظيره، ليؤدي معنى لا يؤديه المعنى الثاني، ولا يمكن أن يسد مسده في السياق نفسه. وقد اقتصر البحث على ألفاظ القرابة الموهمة بالترادف والأكثر شيوعا في القرآن الكريم، بغرض الوصول إلى عدة أهداف منها:

الكشف عن طريقة التعبير القرآني في استعمال ألفاظ القرابة ذات المعاني المتقاربة في عُرف بعض اللغويين.

- الكشف عن السر البلاغي في استعمال هذا اللفظ دون غيره في السياق الذي ورد فيه.

- بيان وظيفة السياق القرآني في تحديد المعنى.

ABSTRACT

The privacy of the Quranic item usage - kinship words as a model
Dr: Nasser Mahmoud Saleh AL Nawasrah .

The study dealt with a part of the Quranic method presented in the use of certain words that seem synonymous and keep a track of different contexts ،the kinship words have been chosen as a model for that ،as one of the Quranic units that varied in meaning depending on contexts.

This is one aspect of the Quranic linguistic sign because of its precise selection of items when choosing a certain item not its counterpart to fulfill the right meaning .

The research is confined to the most common words which may seem paradoxically

synonymous، with the aim to reach these goals :

- Revealing the Quranic way in the use of the kinship words with close meanings as seen
by some linguists .

- Revealing the rhetorical secret in using a particular item in its context .

- Manifesting the Quranic context function in determining the meaning .

مقدمة:

تناولت الدراسة جانياً من الأسلوب القرآني متمثلا في استعمال بعض الألفاظ التي تبدو مترادفة، وتتبع سياقاتها المختلفة، وقد تم اختيار ألفاظ القرابة أنموذجا لذلك، عبر رصد الألفاظ التي تعبر عن أنماط القرابة، والعلاقات المؤسسة لها، بالإضافة إلى ربطها بالأبعاد الدلالية والبلاغية في القرآن الكريم، وقد بينت الدراسة سبب اختيار لفظ دون نظيره، ليؤدي معنى لا يؤديه المعنى الثاني، ولا يمكن أن يسد مسده في السياق نفسه.

وقد انطلق الباحث من مفهوم ألفاظ القرابة باعتبارها إحدى الوحدات القرآنية التي تفاوتت دلالتها حسب السياق، وذلك بتحديد دلالتها اللغوية في السياق التي وردت فيه، وهو أحد أوجه إعجاز القرآن اللغوي، بانتقائه للألفاظ انتقاء محكماً، فالله سبحانه وتعالى جاء بالمفردة القرآنية وأودعها قانونه الثابت التي يجب أن تؤديه على أساسه الوظيفة التي وجدت من أجلها بمعناها الدقيق، بحيث يأتي اللفظ مناسباً في سياقه، منسجماً في دلالته مع ما يجاوره من ألفاظ، محاولاً الكشف عن جانب من جوانب هذا الاختيار فيما يتعلق بألفاظ القرابة، بقي أن نشير إلى أن منهج البحث يعتمد على منهج الانتقاء في حقل مفردات ألفاظ القرابة، وقد اقتصر البحث على ألفاظ القرابة الموهمة بالترادف والأكثر شيوعا في القرآن الكريم نحو:(الزوج والمرأة، والأم والوالدة،والأب والوالد،وأهل وآل).

فقد استخدم لفظ" زوج" في مواضع، وورد لفظ " امرأة" في مواضع أخرى، كما استخدم لفظ "أم" في مواضع وورد لفظ "والدة" في مواضع أخرى، وهكذا مع بقية ألفاظ القرابة التي يبدو بينهما ترادف مثل: أب ووالد، وأهل وآل... وغيرها.

لذلك يجب العثور على المصطلح السياقي الخاص الذي يتناسب مع المفردة القرآنية،مما أفضى إلى تعيين الدلالة الدقيقة ، لبعض الكلمات التي تبدو مترادفة في ظاهر أمرها.

فالبحث في بلاغة دلالة ألفاظ القرآن الكريم بحث في أفصح نص عربي، من حقه علينا الاهتمام به ، ودراسته وتأمله، ومن هنا نشأت فكرة هذا البحث في دلالة ألفاظ القرابة في القرآن الكريم، وقد تم وضع هذه الدراسة تحت عنوان" خصوصية استعمال المفردة القرآنية، ألفاظ القرابة أنموذجا "، بغرض الوصول إلى عدة أهداف منها:

- الكشف عن طريقة التعبير القرآني في استعمال ألفاظ القرابة ذات المعاني المتقاربة في عُرف بعض اللغويين.
- الكشف عن السر البلاغي في استعمال هذا اللفظ دون غيره في السياق الذي ورد فيه.
- بيان وظيفة السياق القرآني في تحديد المعنى.

فالاستعمال القرآني فيه من الدقة في توظيف الألفاظ ما يحتاج إلى تأمل وتدبر، وسأذكر مما عدّوه من الترادف لنرى أنه في النص القرآني ليس كذلك فليس هناك تطابق للمعنى بين اللفظين، وإنما لكل لفظ معنى دقيق لا يطابق رديفه الآخر ، وسأذكر نماذج محددة من ألفاظ القرابة عُدت من المترادف، ولكن قبل ذلك سنعرج على معنى الترادف وموقف اللغويين منه، وخصوصية استعمال الكلمة في القرآن الكريم، ودور السياق في تحديد معنى الكلمة.

الترادف وموقف اللغويين منه :

شغلت ظاهرة الترادف اللغويين القدماء والمحدثين، وتباينت مواقفهم بين مؤيد ورافض، وقد عالجها اللغويين منذ قديم الزمان إلى يومنا هذا، ولا زالت وجهات النظر مختلفة هل يقع الترادف أم لا؟ وهذا ما أكده كثير من الباحثين بقوله:" ومن قديم شغلت قضية الترادف علماء العربية، واختلفت مذاهبهم فيها...ومنا من يعد هذا الترادف ظاهرة فقدان الحس اللغوي، وعدم قدرته على ضبط الدلالات، وتحديد معاني الألفاظ، أو يراه من الفضول والتزيد الذي لا فائدة فيه، ومنّا من يرى الترادف ظاهرة غنى، وسعة وقدرة على التصرف، وما أكثر من يباهون بهذا الثراء اللغوي ويعدونه ميزة من مزايا العربية الشريفة"[١].

فاللغويون في قضية الترادف اللغوي على خلاف، فمنهم من ذهب إلى وجوده في اللغة والقرآن الكريم، فيؤمن بوجوده التام، فيجمع للمعنى الواحد ألفاظاً عدة، مثل: البغدادي، وابن السكيت[٢] وابن خالويه[٣]، والرماني في كتابه الألفاظ المترادفة[٤]، وعبد الرحمن الهمذاني في كتابه الألفاظ الكتابية[٥]، وغيرهم من أئمة اللغة الذين يحشدون ألفاظاً كثيرة للمعنى الواحد دون التفريق بين المعنى ومقاربه، وقد أفرد بعضهم كتبا للكلمات المترادفة، فهذا ابن خالويه ألف كتابا في أسماء

---

[١] – بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، **مقال أسرار العربية في البيان القرآني، مجلة اللسان العربي**، المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، جامعة الدول العربية، المملكة المغربية،الرباط، المجلد الثامن، ج٢١/١.

[٢] – انظر:ابن السكيت، يعقوب بن اسحاق،**الألفاظ** ، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٨م. يذكر المؤلف كل الألفاظ التي يمكن حشدها في الموضوع المخصص له.

[٣] – ابن خالويه، من الذين شددوا على وجود الترادف في اللغة، يؤكد ذلك الحديث، الذي دار بينه وبين أبي علي الفارسي، والذي بين فيه أنه يحفظ للسيف خمسين اسما ، انظر: السيوطي، **المزهر في علوم اللغة** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م ج٣٢٢،٣٢٣/١..

[٤] – انظر:: الرمّاني، أبو الحسن علي بن عيسى، **الألفاظ المترادفة**، تحقيق فتح الله صالح علي المصري، دار الوفاء للطباعة والنّشر والتوزيع- المنصورة ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م. وهو كتابُ يتألف من مائةٍ واثنين وأربعين فصلا. ويتألف كلُّ فصلٍ من طائفةٍ من الألفاظ المترادفة المتقاربة في معانيها.

[٥]– أنظر:الهمذاني، عبد الرحمن، بن عيسى، **الألفاظ الكتابية**، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩١م. الكتاب ببساطة هو مختارات من العبارات، و الجمل المترادفة التي تؤدي ذات المعنى بألفاظ مختلفة.

الأسد[٦]، وكتابا آخر في أسماء الريح[٧]، وكذلك ابن جني في كتابه الخصائص يفرد بابا تحت عنوان" تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني"[٨] حيث يثبت في كتابه الترادف، وينكر على الذين ينكرونه، ويسخر منهم، بقوله:" هذا إن رأى ابنه في قميص أحمر عرفه، فإن رآه في كحلي لم يعرفه"[٩]

كما عدّ ابن جني ظاهرة الترادف دليلا على ثراء العربية، وعلو منزلتها بين اللغات، فيقول في مطلع حديثه عن تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني:" هذا فصل من العربية كثير المنفعة، قوي الدلالة على شرف هذه اللغة، ذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها فتجده مفضي المعنى إلى معنى صاحبه"[١٠]، وقد كان الفيروز آبادي من الذين أثبتوا الترادف فقد شغف بالترادف لدرجة أنه أوصل مترادفات بعض الألفاظ إلى ألوف في كتابه " الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف"[١١] ، ومن الذين أيدوا وجود الترادف عند العرب سيبويه، من خلال تقسيم الألفاظ إلى ثلاثة أقسام، حيث تناول في القسم الثاني اختلاف اللفظين والمعنى واحد، ومثّل له بالفعلين ذهب وانطلق يقول:" اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، نحو: ذهب وانطلق"[١٢].

---

(٦)- انظر: ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد ،**كتاب أسماء الأسد** ، تحقيق د. محمود جاسم الدرويش ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٩٨٩ م .

(٧)–نظر: ابن خالوية، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، **كتاب الريح**، قدمه وضبطه وعلق عليه، حسين محمد محمد شرف ،جامعة الملك عبد العزيز ، المدينة المنورة ١٩٨٤،م.

(٨)– ابن جني ، ابو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية ، د. ت، ج٢/ ١١٨، ١٣٥.

(٩) ابن جني ، **الخصائص**، ٢/ ٤٧٠ .

(١٠)– ابن جني، **الخصائص**،ج٢/١١٥٠

(١١)– انظر: السيوطي، **المزهر**،. محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م ، ج١/٣٢٤.

(١٢) – سيبويه، عمرو بن عثمان، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، ١٩٨٨م، ج١/٢٤..

فهذا الفريق يؤمن بوجود الترادف التام في اللغة وفي القرآن الكريم، فهم يرون أن الترادف من أخص خصائص العربية، وحجتهم في ذلك أن لو كان لكل لفظة معنىً غير معنى الأخرى، لما أمكن أن نعبر عن شيء بغير عبارة.

أما الفريق الثاني فكان على النقيض من الفريق الأول، فقد أنكر وجود الترادف إنكارا تاما في اللغة، إذ لم ترق ظاهرة الترادف لهذا الفريق، بل وقف موقف المستنكر والمعارض، وغير المُسلّم بها تسليما مطلقا، وعدّها نوعاً من وأدِ الدلالة الدقيقة للفظة، وما تحمله اللفظة من دلالات أوسع قصروها عليها فقط، وأن لغة العرب لا يمكن أن تتوارد كلمتان على معنى واحد، لا فرق بينهما، فهذا الفريق يأبى توارد كلمتان على معنى واحد من غير أن يكون بينهما فوارق دلالية، لذلك حرص أصحاب هذا الفريق على إظهار الفروق الدقيقة بين الألفاظ المستعملة، فعقدوا فصولاً لألفاظ تختلف أسماءها باختلاف أحوالها،[١٣]، والذي دفعهم لذلك أن الناس لم يعودوا يفرقوا بين عدد من الألفاظ التي تبدوا مترادفة، ويستعملونها بمعنى واحد، ويرون أن لكل لفظة دلالتها الخاصة، وأن ميزة اللغة العربية تكمن في تلك الفروق بين دلالات الألفاظ، وأول من دعا لذلك هو ابن قتيبة، في كتابه أدب الكاتب، فقد أفرد لهذه الألفاظ بابا خاصا سماه " باب معرفة ما يضعه الناس غير موضعه"[١٤]، فذكر الفروق بين عدد من الألفاظ المتقاربة في المعنى، وذلك تبعا لدلالتها الأصلية في اللغة، حين لاحظ الناس يستعملونها بمعنى واحد، كالظل والفي، والعِترة والذرية، والحلف والكذب، والحمد والشكر"[١٥]، وغيرها من الألفاظ، ثم تلاه ابن الأعرابي، في رفض وقوع الترادف في اللغة، وسن سنة إنكار الترادف في اللغة بقوله" كل حرفين

---

(١٣) – الصالح، صبحي، **دراسات في فقه اللغة**، دار العلم للملايين،بيروت،ط٣، ١٩٦٨م ،ص: ٧٨

(١٤)– ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، **أدب الكاتب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية مصر،ط٤، ١٩٦٣م، ص: ١٧.

(١٥) – ابن قتيبة، **أدب الكاتب**، ص: ١٧–٢١.

أوقعتهما العرب على معنى واحد، في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله"[١٦].

كذلك أبو علي الفارسي، الذي أنكر على ابن خالويه، أن للسيف خمسين اسما، وقال أبو علي:" لا أحفظ للسيف إلا اسماً واحدا، فقال ابن خالويه: أين المهند والساطع واليماني، وكذا وكذا...؟ فقال أبو علي : هذه صفات، وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة، وليس للسيف إلا اسما واحدا[١٧] وهو يشير إلى أن صفات السيف لها معان مستقلة ومختلفة مغايرة لاسم السيف وبالتالي لا يقع الترادف بينها.

كما حذا حذوهم أبو هلال العسكري في كتابه "الفروق اللغوية" فأفرد لهذه الألفاظ كتابه، ليكشف المعاني الدقيقة للألفاظ المتقاربة، بعد أن لمس حاجة الدرس اللغوي لبيان الفروق بين الألفاظ، التي تبدو متقاربة، والتي قيل بترادفها ، وهو ما يفهم من قوله: "إني ما رأيت نوعا من العلوم وفناً من الآداب إلا وقد صنف فيه كتب تجمع أطرافه، وتنظم أصنافه إلا الكلام في الفرق بين معان تقاربت حتى أشكل الفرق بينها نحو العلم والمعرفة، والفطنة والذكاء، والإرادة والمشيئة، والغضب والسخط..."[١٨].

كما أنكر الإمام فخر الدين الرازي الترادف، واعتبر أن كل ما يظن من المترادف فهو من المتباين، بقوله:" إما لأن أحدهما اسم ذات، والآخر اسم صفة،

---

[١٦]– ابن الأنباري محمد، **الأضداد** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص:٧ المكتبة العصرية بيروت، ١٩٩٨م،. والسيوطي، **المزهر في علوم اللغة**، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.، ج١، ص:٣١٨.

[١٧] – السيوطي، **المزهر في علوم اللغة**، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ج/١، ص: ٣٢٢، ٣٢٣. .

[١٨]– العسكري ، أبو هلال ،**الفروق اللغوية**، الدار العربية للكتاب، الطبعة السادسة ،١٩٨٣م، ص:٩.

أو صفة الصفة"[١٩] ، كما أنكر الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات في غريب القرآن، الترادف في اللغة وخاصة بين مفردات القرآن الكريم، لأن الأصل في اللفظة عنده أن تكون مختلفة بحسب اختلاف المعاني، إذ بين في كتابه الكثير من الفروق بين بعض الألفاظ التي قيل بترادفها، كما أشار في مقدمة كتابه، إلى الفروق بين الألفاظ التي قد تبدو أنها مترادفة وهي في الحقيقة ليست كذلك [٢٠]، فأصحاب هذا الفريق حاولوا أن يوجدوا الفروق بين الألفاظ المترادفة [٢١] بتحديد مدلولات الألفاظ، وبيان الفروق بين الكلمات التي يعتقد الكثير من اللغويين بوجود الترادف بينها، على اعتبار ما من لفظ يمكن أن يقوم غيره مكانه في القرآن الكريم. وهذا من خصائص إعجازه، فجاء كل لفظه بمعنى لا تطابق الأخرى، بل يكون معناها مختلفاً في سياق استعمالها .

فالبحث في حقيقة الفروق اللغوية عند علماء اللغة جاء لإزالة المشكل بين الألفاظ المتشابهة، تشابها يلتبس فيه أحدهما بالآخر في الاستعمال؛ حرصاً منهم على تنقية اللغة، وحفاظا على أصالتها، وسلامتها. فاللفظ الدقيق، هو اللفظ الذي يؤدي المعنى المراد، ولا يصلح لغيره لأن يوضع موضعه، فما يجري على اللغة يجري على القرآن الكريم، فمثلما خاف اللغويون على فساد اللغة بذهاب تلك المعاني الدقيقة، خاف المفسرون على اندثار تلك المعاني، فأخذوا يكشفون عنها، ويفرقون بين الألفاظ المتقاربة في إطارها العام، والمتغايرة في خصوصية الدلالة والاستعمال، وذلك بتتبع الدلالة الخاصة لتلك الألفاظ المتقاربة في الدلالة، حيث لا

---

[١٩] – السيوطي **المزهر**، ج١، ص:٣٢١.

[٢٠] – الأصفهاني الراغب، **المفردات في غريب القرآن**، دار القلم، الدار الشامية، دمشق،بيروت،ط١، ٢٠١٠م ص:٦.

[٢١] مثل الثعالبي **(في فقه اللغة)** وأبي هلال العسكري في **(**الفروق اللغوية**)**، والراغب الأصفهاني في كتابه **المفردات في غريب القرآن**، وأحمد بن فارس في كتابه **الصاحبي** وابن جني في **الخصائص** ...وغيرهم.

يمكن أن تكون هناك كلمات تتفق في دلالتها اتفاقا تاما، حتى وإن سلّمنا جدلاً بوجود الترادف في اللغة، ذلك لأن اللغة كثير ما نستعملها ولا نلحظ جمال الفروق الدقيقة بين معاني ألفاظها، لكن وجود الترادف لا يعني وجوده بالضرورة في القرآن الكريم، ، إذ يستحيل أن نجد مفردتين في القرآن الكريم تردان في سياقات مختلفة، وتحملان المعنى الدقيق نفسه، لأن لكل لفظة خاصية تتميز بها عن غيرها في بعض معانيها، وإن اشتركا في بعض المعاني بحيث لو بدل اللفظ بغيره، تبدل تبعًا لذلك معنى الكلام، وذهب رونقه، وسقطت بلاغته [٢٢]، ذلك لأن الخطاب في القرآن الكريم إبداعي متفرد يستعمل الألفاظ استعمالاً خاصاً يناسب بنيتها اللغوية[٢٣]، تبعاً لاختلاف الاستعمال، كما سنرى عند حديثنا عن ألفاظ القرابة.

فالكلمة هي أصل الدقة في التعبير والوضوح في المعنى، يقول ابن عطية لأندلسي في مقدمة تفسيره:" وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أُديرَ لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"[٢٤]،ويقول فضل عباس معلقا على ما قاله ابن عطية:" ما قاله ابن عطية كلام حريٌّ بالتقدير، جديرٌ بالدراسة، ذلك أن المفردات القرآنية لها خصائصها ومميزاتها، وجمال وقوعها واتساقها الكامل مع المعنى، واتساع دلالتها لما لم تتسع له دلالات الكلمات الأخرى"[٢٥] ،فالكلمة أصل الدقة والوضوح في التعبير والوضوح في المعنى والصدق في الدلالة، لأن الكلمة إذا

---

[٢٢]– انظر: الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم ،**بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، القاهرة: دار المعارف، ط٣ ١٩٦٧،ص ٢٨– ٢٩ .

[٢٣]– انظر عتيق، عمر عبد الهادي، **الترادف في القرآن الكريم بين الرفض والقبول**، رابطة بلاد الشام، لندن– بريطانيا، ٢٠٠٨م. عنوان الموقع: http://www.odabasham.net/show.php?sid=21771

[٢٤] – ابن عطية، عبد الحق بن عطية الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية– بيروت،١٩٩٣م. ج١، ص:٥٢ .

[٢٥] – عباس، فضل حسن، **إعجاز القرآن الكريم**، دار الفرقان ، للنشر والتوزيع، – عمان، ٢٠٠٤م ،ص: ١٧٠ .

تمكنت من موضعها الأصل دلت على المعنى كله، إذ يُشبّه فضل عباس خصوصية استعمال الكلمة في سياقها لتؤدي دلالتها الخاصة بها، بالقطعة في الآلة، إذا وضعت في موضعها على الصورة اللازمة بها، تحركت الآلة، وإلا ظلت جامدة.[٢٦]، وهذا يدعونا لتدبر الكلمة، بالغوص إلى معناها للوصول إلى معناها الدقيق الخاص بها، وإبراز الفارق الدلالي الذي يميزها عن غيرها من الكلمات القرآنية دلالياً، فكل لفظ في كتاب الله المعجز وضع موضعة بدقة فائقة ليؤدي دلالة محددة، ومعنىً مقصوداً، فنص القرآن الكريم نص محكم، وضع كل حرف وكل لفظ فيه بنظام دقيق، فنراه يشدد على ضرورة الدقة في استخدام الألفاظ، ويطلب من المتكلمين مراعاتها، قال تعالى:" لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا"[٢٧]، فلفظ (راعنا) وإن كان يحتمل المراعاة والانتظار، فإنه قد يحتمل الهُزء والسب، وفي بعض اللهجات نهي عن إطلاقه، لما فيه من معنى المحضور، وهذا يدل على أن كل لفظ احتمل المعنى وغيرة[٢٨]، وفي موضع آخر نرى النظم القرآني يؤكد على تحري الدقة في استخدام الألفاظ، قال تعالى:" قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ "[٢٩] فالتعبير القرآني يؤكد ويشدد على التزام الدقة في استخدام الألفاظ وفق دلالتها التي قد تفهم من اللفظ أو تقصد فيه، فإن الالتزام بهذا المنهج أولى وأجدر،"لأن كل لفظة بها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا يشتركان في بعضها"[٣٠]. فالألفاظ الموهمة بالترادف، هي التي تتقارب دلالاتها

---

[٢٦] – عباس، فضل حسن، **إعجاز القرآن الكريم**، دار الفرقان للنشر والتوزيع، – عمان، ٢٠٠٤م.، ص: ١٦٦–١٦٧.

[٢٧] – سورة البقرة، آية: ١٠٤.

[٢٨] – بدوي، أحمد أحمد، **من بلاغة ا لقرآن الكريم** ، نهضة مصر، مارس، ٢٠٠٥م.، ص: ٥٢.

[٢٩] – سورة الحجرات، آية: ١٤.

[٣٠]– الخطابي، **بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل قي إعجاز القرآن** ، تحقيق : محمد خلف الله، ومحمد زغلول، دار المعارف – مصر ،ط٣.، ١٩٧٦، ، ص: ٢٩.

مع غيرها في المعنى العام، ولكن لها من خصوصيات الدلالة، ما لم تكشفه، إلا في التدقيق في معناها، والسياق الذي ترد فيه، أما تمام الإتحاد والتطابق في المعنى فقد منعه كثير من اللغويين العارفين بدقة الاستعمال، كما أوردنا سابقا، وهذا القول هو الذي يترك فسحة البحث عن المعاني الدقيقة بين المفردات الموهمة بالترادف، وهو ما سنحاول البحث فيه عند الحديث عن خصوصية استعمال الكلمة في القرآن الكريم.

خصوصية استعمال الكلمة في القرآن الكريم:

البحث في خصوصية استعمال المفردة القرآنية هو أحد المباحث اللغوية المهمة في فهم الدلالة الدقيقة للألفاظ في القرآن الكريم، وهي من المتطلبات الأساسية لتفسير القرآن الكريم وتأويله، فنص القرآن الكريم محفوظ ومصون من التحريف، ومن الزيادة والنقصان، قال تعالى:(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[٣١]، فيجب أن نفهم معاني القرآن الكريم بدقة لنفهم دلالة النص، فدقة فهم الألفاظ يتوقف عليها فهم الأحكام والتشريعات، ومفاهيم القرآن المتعددة.

لذلك اهتم اللغويون بدراسة خصوصية اللفظة في نصوص القرآن الكريم، للوصول إلى فهمه، لمعرفة الحكم الشرعي من تلك النصوص، فالدقة في استعمال المفردة القرآنية تتسع دائرتها لتشمل العبارات والسياق الذي ترد فيه اللفظة، والمناسبة التي نزلت فيها، قال السيوطي في باب ائتلاف اللفظ مع اللفظ، وائتلافه مع المعنى:" أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضا...وأن تكون ألفاظ الكلام ملائمة لمعنى الكلام"[٣٢]، وهذه الدقة في استخدام اللفظة المناسبة التي لا يشركها

---

[٣١] – سورة الحِجر، آية: ٩.

[٣٢] – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر،ط٣، ١٩٥١م ،ج٢/٨٨.

فيها مرادفها لا تكون إلا في أركان الفصاحة، والبلاغة، أو في نصوص الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

وبذلك يجب تتبع استخدام المفردة القرآنية، ومعرفة متى تستعمل، وفي أي سياق يكون ذلك الاستعمال، بملاحظة الفروق الدقيقة بين الكلمات المتقاربة، لمعرفة أن لكل كلمة معنى دقيق خاص بها يختلف عن غيره من الألفاظ المتقاربة في المعنى، مثل استخدام لفظ (حية) عندما يكون الخطاب موجه لموسى عليه السلام، عند انقلاب عصاه إلى (حية) ولا يراد من الحية إلا جنسها، وفي موضع التحدي للسحرة، يأتي التعبير عنها بلفظ (الثعبان)،لما فيه من الخوف والتهويل، وفي موضع سعة الحركة، يأتي بلفظ (الجان) إشارة إلى الحية الخفيفة السريعة الحركة[٣٣] ، فمثل هذه المغايرة في الألفاظ صحبها اختلاف المقامات، فانظر إلى دقة التعبير القرآني" له القول الفصل فيما اختلفوا فيه، حين يهدي إلى سر الكلمة التي لا تقوم مقامها كلمة سواها من الألفاظ المقول بترادفها"[٣٤].يقول السامرائي:" إن التعبير القرآني تعبير فني مقصود، كل لفظة، بل كل حرف وضع وضعاً فنياً مقصوداً... وأنه لا يمكن أن يزاد فيه أو يحذف منه حرف واحد"[٣٥].

أما القول كيف تفسر الكلمة القرآنية بكلمات أخرى، فهو من باب التقريب، والتسهيل، وليس التحديد الدقيق لمعنى الكلمة، يقول ابن تيميه رحمه الله:" وقلَّ يُعبَّر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون من باب التقريب لمعناه، وهذان من باب إعجاز القرآن، فتفسير لفظ بلفظ أخر، ليس إلا

---

[٣٣] – الطبري، محمد بن جرير، **تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر ، د. ت جـ ١٣، ص: ١٥،١٦،١٧ .

[٣٤] – بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، **الإعجاز البياني، ومسائل ابن الأزرق**، دار المعارف، القاهرة،١٩٦٨م ،ص : ٥٠٨ .

[٣٥]– السامرائي، فاضل، **التعبير القرآني**، ، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل،١٩٨٩م ،ص:١٢ ،.

محاولة للفهم على وجه الشرح والتقريب"[٣٦]،.فقوله تعالى:(الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)[٣٧] دلالة على عدم الترادف في القرآن الكريم، ذلك لأن معنى "أحكمت آياته" نظمت نظما متقنا ورصفت رصفا لا خلل فيه، وفصلت أي ميز بعضها عن بعض، وذلك بتحديد المعنى الدقيق لكل كلمة، وبيان موضعها وتحديده، حيث لو أردنا أن نستبدل كلمة بغيرها لما وجدنا ما يسد مسدها الدقيق من الكلمات العربية، فاستبدال كلمة بأخرى مقارب لها في المعنى قد يصبح المعنى فضفاضا أو ضيقا[٣٨]، ولعل أول إشارة وردت عن القدماء إلى دقة خصوصية استخدام المفردة القرآنية هي إشارة الجاحظ، بقوله: " وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستخدمونها، وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب، ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة... ولا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر، وأولى بالاستعمال"[٣٩]. فالحقيقة التحليلية للألفاظ وخاصة ألفاظ القرآن الكريم تبرز أن ليس هناك لفظان أو أكثر لها معنى واحد، لوجود فرق بينهما، وإلى ذلك يشير الراغب الأصفهاني وأبو علي الفارسي، وغيرهم من علماء اللغة.

وإذا وجِد ألفاظ نعتقد أنها مترادفة لا تكون مساوية لبعضها البعض في المعنى، ولا معبرة تمام التعبير عن المفردة الأخرى، أما تفسير المفردة بمفردة أخرى فهو من باب التيسير وتقريب فهم المعنى، حيث لا تكشف عن تمام المقصود

---

[٣٦] – ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس،**مقدمة في أصول التفسير**، دار مكتبة الحياة، بيروت– لبنان، ، ١٩٨٠، ،ص:٢٢.

[٣٧] – سورة هود: آية:١

[٣٨]– بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، **التفسير البياني للقرآن الكريم**،دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٦٦م، ج١/١٤ .

[٣٩] – الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيان**، تحقيق، فوزي عطوان، دار صعب، بيروت،ط١، ١٩٦٨م، ج١/٢٦ .

القرآني. ولنأخذ مثالا على ذلك في تفسير معنى المفردة القرآنية بالاعتماد على نظرية عدم التساوي؛ الفروق اللغوية بين الألفاظ كما ذكرها الأصفهاني، فكلمة الريب فسرها كثير من المفسرين بـ (الشك) في حين أن كلمة الشك لا تساوي كلمة الريب في معناها، يقول الراغب الأصفهاني" الريب هو تحصيل القلق وإفادة الاضطراب، والشك، وقوف النفس بين شيئين متقابلين بحيث لا ترجح أحدهما على الآخر[٤٠]، وكذلك الفرق بين (الخشية والخوف)، فالبعض يفسرون الخشية بالخوف، في حين أن الخشية لا تساوي الخوف في معناها التام، فالخشية: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه، لذلك خص الله العلماء بها في قوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[٤١] ، والخوف توقع مكروه من شيء معلوم أو مشكوك به ويستعمل في أمور الدنيا والآخرة[٤٢]، قال تعالى: (وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ)[٤٣].

من خلال هذه النماذج نستطيع أن نفهم قصور التفسير الذي يعتمد على الترادف التام دون أن يذكر الفارق بين اللفظين، فالمترادفان يشتركان في بعض المعنى ويختلفان في بعضه الآخر، ولا يتساويان في المعنى التام، وهذا يقودنا لمعرفة الفروق الدلالية للفظة، واللفظة الأخرى التي تتقارب معها في المعنى، والتي يُظن بترادفها لخفاء تلك المعاني، وهذا ما نبّه عليه علماء اللغة المنكرين للترادف، والقائلين بأن لكل لفظة معناها الدقيق الخاص بها، بوضعها في موقعها الذي يناسب دلالتها وبنيتها الصرفية والصوتية، بالإضافة لبنيتها الدلالية التي

---

(٤٠)– الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، "**المفردات في غريب القرآن**"، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة، د. ت، ص، ٢٠٥، ٢٦٥. وانظر: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، "**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب** العزيز، بيروت: المكتبة العلمية، د. ت، ج٣/٣٣٣، ٣٣٢.

(٤١) – سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٤٢)– الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ص:٢٧٠.

(٤٣) – سورة الإسراء ، آية ٥٧.

ذكرت سابقاً.[٤٤]، فقد راعى علماء البيان القرآني مناسبة المفردات للمقام الذي تأتي فيه، وأن المعنى إنما يُطلب من اللفظة في مقامها، مما يقطع الطريق على المرادفات أن تقوم مقامها، فكلامهم قطعي في منع الترادف، إذا رُعيَ فيها مقام ورودها في السياق، يقول الخطيب الأسكافي: "إذا أورد الحكيم تقدست أسماؤه آية على لفظة، مخصوصة، ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غُيّر فيها لفظة كما كانت عليه في الأولى، فلا بدّ من حكمة هناك تُطلب، فإذا أدركتموها فقد ظفرتم"[٤٥].

السياق ودوره في تحديد دقة دلالة اللفظ:

يلعب السياق دورًا هاماً في معرفة المعنى الدقيق لأي لفظ من الألفاظ، فهو الذي يحدد دلالة اللفظ في كل موقع يأتي فيه، وعلاقته بما يجاوره من ألفاظ، فهو بمثابة حجر الأساس في تحديد المعنى الدقيق للفظ من غيره، وفي الحصول على دلالات مختلفة للألفاظ[٤٦]، لذلك عُدّ السياق من القرائن المساعدة على فهم المعنى المراد من اللفظ، وتمييزه عن المعاني المحتملة الأخرى، إذ يمنح السياق نوعا من الدلالة للمفردات التي تدخل فيه، فمعنى المفردة يختلف باختلاف السياق الذي استعملت فيه، فهو يشير إلى الغرض من استعمال المفردة بدلاً من غيرها مما هو قريب من معناها[٤٧].

ويتضح لنا أهمية السياق ودوره في تحديد الدلالة، من خلال إدراك القدماء له، وبيان أهميته في تحديد الدلالة لكل كلمة من خلال الدور الذي قام به اللغويون والبلاغيون، إذ يرى عبد القاهر الجرجاني أن لكل نوع من المعنى نوعا من اللفظ به أخص وأولى، ويرى أن اللفظة لا يحكم عليها إلا من خلال السياق؛ لأن الألفاظ لا تفيد حتى

---

(٤٤) – الجرجاني، عبد القاهر،بن عبد الرحمن، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر،مكتبة الخانجي،٢٠٠٨م، ص:٤٥، .

(٤٥)– الإسكافي،محمد بن عبدالله، **درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز**، دار الآفاق الجديد – بيروت ، د.ت.، ص: ٢٠، ٢١.

(٤٦) – انظر: خضر، مصطفى محمد عبد المجيد، **الألفاظ والدلالة في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي**، مؤسسة حورس الدولية ، الإسكندرية،٢٠١٠م ص: ، ١٥٧.

(٤٧)– الحربي، حسين بن على. **قواعد الترجيح عند المفسرين.دراسة نظرية تطبيقية**، ط١. الرياض: دار القاسم، ١٤١٧هـ، ١٩٦٩م، ٤٤٧/١.

تؤلف ضربا خاصا من التأليف[٤٨]، ويشير الباقلاني إلى أن اختيار اللفظ وإحلاله محله المناسب في السياق هو أساس البلاغة[٤٩].

كما كان ابن جني من أكثر الذين اهتموا بالسياق، وأثره في فهم الدلالة،إذ يرى في السياق عاملا أصيلا في فهم الدلالة، فبين أن الدلالة لا تفهم إذ لم تقترن بالسياق، وقد اشتمل كتابه الخصائص على أمثلة كثيرة، يوضح بها السياق في فهم دلالات الألفاظ، ومن ذلك قوله تعالى:(يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ)[٥٠]، فلفظ الساق هنا يراد بها شدة الأمر كقولهم : قامت الحرب على ساق[٥١]، وليس العضو المعروف في بدن الإنسان. ولو انتقلنا إلى نموذج آخر وهو استعمال لفظتي جاعل وخالق في سياقين مختلفين، إذ وردتا في قوله تعالى:(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)[٥٢] و قوله تعالى في سورة الحجر(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ)[٥٣]، وقوله تعالى في سورة ص: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ)[٥٤] نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى ذكر في سورة البقرة (جاعل) وفي سورتي ص والحِجر ذكر كلمة (خالق) والسبب في ذلك التحديد والتخصيص والاختيار للفظه دون الأخرى هو السياق المختلف ففي سورة البقرة لا يخبر الله الملائكة بخلق آدم فقط ، وإنما يتجاوز ذلك المستوى الإبلاغي للسياق إلى إخبار الملائكة أن آدم سوف يكون الخليفة، فجاء السياق متلائما مع لفظة(جاعل)، (فالخلق) هو الإيجاد المبدئي من العدم، وهو فعل

---

(٤٨)– الجرجاني، عبد القاهر،بن عبد الرحمن، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر،مكتبة الخانجي،٢٠٠٨م، ص:٤٥.

(٤٩) – الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب ،**إعجاز القرآن** ،. تحقيق: السيد أحمد صفر، دار المعارف – القاهرة.د. ت ص: ١٨٨ .

(٥٠) – القلم، آية:٤٢.

(٥١) – ابن جني، الخصائص، ص: ٣٨.

(٥٢) – سورة البقرة، آية:٣٠

(٥٣) سورة الحجر آية ٢٨.

(٥٤) – سورة ص،آية: ٧١.

يدل على خاصية إلهية لا يجوز أن تنسب لبشر، أما (جعل) فهو فعل يعني تقدير أو إضفاء هيئة على شيء تم خلقة، ومثل ذلك قوله تعالى: في سورة الأنعام(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّوْرَ)[٥٥]، إذ استخدم لفظة(الجعل) مع الظلمات والنور لأنهما يتجددان زمان بعد زمان، وكذلك استخدم لفظ(الخلق) مع السموات والأرض لأن فيها دلالة على أن بعضها يُخلق من بعض[٥٦] .

فالسياق له اليد الطولى في رفض الترادف، والبحث وراء المعاني الدقيقة للألفاظ المتقاربة، فهو الذي يحدد قيمة الكلمة في أحوال ورودها في التركيب، إذ لا يمكن أن نفهم أية كلمة على نحو تام بمعزل عن الكلمات الأخرى ذات الصلة بها[٥٧]، بتحديد معناها، فيظهر معنى الكلمة الحقيقي، يقول فاضل السامرائي:" قد يكون للسياق الذي ترد فيه الآية سمة تعبيرية خاصة، فتتردد فيه ألفاظ معينة بحسب تلك السمة... فينطبع ألفاظها بتلك السمة"[٥٨]، بقي علينا أن نشير إلى أن بعض الدارسين، يظن أن "سياق المقام" لم يعرف إلا في أواسط المحدثين، فقد قيل أن أول من استخدم مصطلح" سياق المقام" وطبعه في الدراسات اللغوية هو العالم البريطاني (فيرث)، لكن نقول أن الدراسات السياقية العربية، سبقت دراسات الغربيين في هذا المجال بأكثر من ألف عام، فقد عقد الجاحظ في كتابه" البيان والتبيان" مبحثا عن سياق الحال بيّن فيه أن لكل ضرب من الحديث، ضرب من اللفظ، ولكل

---

[٥٥] – سورة الأنعام، آية: ١.

[٥٦] – الطباطبائي، السيد محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات لنلن، ١٩٩٧م١٤/١٥ .

[٥٧]– انظر: بتر جون، **اللغة والمعنى والسياق**، ، ترجمة عباس صادق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧م، ص: ٨٣.

[٥٨] – السامرائي، فاضل، **التعبير القرآني**، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل،١٩٨٩م، ص:٢١٢ .

نوع من المعاني نوع من اللفظ [٥٩]، فالدلالة الدقيقة للكلمة تتضح من خلال سياقها التي قيلت فيه، ومقامها التي تدل عليه.

ففكرة دلالة السياق ليست وليدة علم اللغة الحديث، وإنما هي فكرة قديمة عرفها علماء المسلمين وفطنوا إليها وسبقوا الأوربيين إليها بعدة قرون، ونحن لا نزعم أن علماءنا الأفذاذ كان لهم وعي نظري كامل بجميع القضايا اللغوية، إلا أن متابعة أعمالهم متابعة متأنية ودقيقة تكشف عما كان لهم من سبق وريادة في مجال الدراسات اللغوية، إذ أدركوا أهمية دلالة السياق في فهم المعنى، وقد سبق علماء الإعجاز هؤلاء المحدثين بدراسات أصيلة للنظرية السياقية، توّجت هذه الدراسات بما أصطلح عليه البلاغيين بنظرية النظم، ولعل أبرز روادها عبد القاهر الجرجاني، وحديثه في مجال المفردة القرآنية، أنه لا يقوم مقام المفردة ما يشابها أو يقاربها، بل لها من الاتساق والالتئام في سياقها مما لا يمكن أن تُبدل بغيرها[٦٠]، ويقول أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين:" وحسن الرصف أن توضع الألفاظ في موضعها، وتُمكّن في مكانها"[٦١] ولعل في كلام الجرجاني والعسكري السابق إشارة قوية طلما شغلت فكرة هذا البحث في خصوصية استعمال المفردة القرآنية، وأثرها في كشف الفروق بين الألفاظ الموهمة بالترادف؛ إذ قد يُعرف الفرق في المفردة، بمعرفة سياقها.

فقد أدرك البلاغيون أهمية السياق وأثره في بيان المعنى، فربطوا وجود الكلمة بسياق الآية،وبينوا حاجة المقام إليها، واستحقاقها بالمكان، وتفردها به، وغالباً ما استعانوا بالفروق ليبينوا أهمية المفردة وخصوصية استخدامها في المقام

---

[٥٩] – انظر: االجاحظ، أبو عثمان بن بحر، **البيان والتبيين**، ، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٢م، ج١/٣٦.

[٦٠] – الجرجاني، عبدالقاهر بن عبدالرحمن،**دلائل الإعجاز**،ص: ٣٩و ٣٨٥، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، ،انظر الإعجاز القرآني ونظرية النظم، ص: ١٣٠

[٦١] – العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، **كتاب الصناعتين**، تحقيق: محمد أبو الفضل، مصر، ١٩٧١م، ص: ١٦٧.

المناسب لها[٦٢]، ويتضح ذلك من عباراتهم المشهورة (لكل مقام مقال) حيث تتغير العبارة الواحدة بتغير المقام أو الموقف الكلامي، وقد عبر عبد القاهر الجرجاني عن أهمية السياق اللفظي في دراسة التراكيب، وأوضح أن للسياق دور كبير في تحديد معنى اللفظ وترتيبه، وقد عبر عن مدى الارتباط بين الكلمات بعضها ببعض، ومناسبتها للسياق، فيرى" أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، وإن الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها"[٦٣]، فالألفاظ صالحة للدخول في أكثر من سياق، لتقارب معناها، لكنها تتحسن في سياق وتسوء في آخر، ولذلك يتطلب كل سياق لفظا خاصا به، وقد أورد عبد القاهر الجرجاني حسن الكلمة في الموضع وقبحها في آخر، والكلمة هي نفسها، ولكن السياق يختلف[٦٤].

من ذلك نرى أن اهتمام اللغويين بالسياق يدل على فهمهم العميق له في تحديد معنى الكلمة، فالكلمة لا تملك وجودا مجردا لذاتها، ولكن وجودها يتحقق باستخدامها، فهو الذي يعيّن دلالة واحدة للكلمة، بالرغم من المعاني المتقاربة لها، وهذا يعني اختلاف دلالة الكلمة باختلاف السياقات اللغوية المختلفة، فمعرفة المعنى الدقيق للكلمة تعتمد على السياق الذي وردت فيه. فلكل كلمة في القرآن معنى في ضوء سياقها، قد لا يصح هذا المعنى لسياق آخر [٦٥] ؛لأن مراعاة سياق الكلام ومنحى القول مهم، ؛ لهذا عد صاحب (المنار) السياق أفضل قرينة تكشف عن حقيقة معنى اللفظ [٦٦].

---

[٦٢]– ياسوف، أحمد **جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير**، دار المكتبي، دمشق،ط١، ١٩٨٥م، ص: ٣٠٧.

[٦٣]– الجرجاني عبد القاهر،**دلائل الإعجاز**، تعليق محمود محمد شاكر، ، مكتبة الخانجي، ط٢٠٠٤،٥م.، ص: ٤٦

[٦٤] – الجرجاني، **دلائل الإعجاز** ، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط٥، ٢٠٠٤م ص:٤٦.

[٦٥]– ابن العربي، أبو بكر محمد. **أحكام القرآن**، ، تحقيق محمد على البجاوي. بيروت: دار المعرفة، د.ت، ج٣/ ١٣٨.

[٦٦]– رضا، محمد رشيد. **تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار**، ،القاهرة: دار المنار، د..ت ،ج٢٢/١.

كما ميز سعد مصلوح في كتابه الأسلوبية بين نوعين مختلفين من اختيار الألفاظ: الأول اختيار محكوم بالموقف، أو المقام، والآخر اختيار تتحكم به مقتضيات التعبير الخاص به.[٦٧] فالاختيار الأول ينطلق من فكرة وجود علاقة بين اللفظ والمعنى المحكوم به، وهذا يحقق قصدية اللفظ في إحداث تأثير ما، وهذا يظهر في استعمال الله سبحانه وتعالى للفعل(يفعل) جواباً على سؤال زكريا عليه السلام، واستعمال الفعل (يخلق) جوابا على سؤال مريم عليها السلام، ففي سؤال زكريا عليه السلام في قوله تعالى:"أنى يكون لي غلام"[٦٨]، يأتي الجواب في قوله تعالى: "كذلك الله يفعل ما يشاء"[٦٩]، لآن سيدنا زكريا ذكر متزوج، أما سؤال مريم عليها السلام في قوله تعالى: " أنى يكون لي ولدٌ ولم يمسسني بشر"[٧٠]، يأتي الجواب في قوله تعالى: "كذلك الله يخلق ما يشاء"[٧١]، لأن مريم عليها السلام أنثى بكر، ذلك لأن التعبير بلفظ (يفعل) في خطاب زكريا عليه السلام لا يثير خواطر نفسية سيئة؛ لأن زكريا وامرأته زوجان، فلا شبهة إن حملت المرأة، ، أما الخطاب في حال مريم عليها السلام، فإن التعبير بلفظ(يفعل) غير مناسب للمقام، ومن هنا جاء الفعل (يخلق).[٧٢] وهذا هو الاختيار المحكم؛ لأن الله سبحانه وتعالى راعى فيه مقتضيات الموقف أو المقام أو حال المخاط، فالخلق هو الإيجاد المبدئي من العدم.

أما الاختيار الآخر التي تتحكم به مقتضيات التعبير، ونظم الجملة بمفهومه الشامل، يحدث عندما يفضل المنشئ كلمة على أخرى، أو تركيباً على

---

[٦٧]– مصلوح ،سعد، الأسلوب ، **دراسة لغوية إحصائية**، مطبعة حسان، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م ،ص: ٢٣ .

[٦٨] – آل عمران، آية ٤٠.

[٦٩]– آل عمران، آية ٤٠.

[٧٠] – آل عمران، آية:٤٧.

[٧١] – آل عمران، آية:٤٧.

[٧٢] – حسان، تمام، **البيان في روائع القرآن**،، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠م،ج ٢١٢/١.

تركيب، وذلك بالتعبير عن معنى عام بطرق لغوية مختلفة. بيد أن هذا البحث محدد بالمفردة القرآنية المنتقاة لمعناها المعجمي الدقيق فحسب.

وأخيرا نقول لقد كان لعلماء اللغة، والبلاغيين ومفسري القرآن الكريم منذ وقت مبكر فضل السبق في الكشف عن أثر السياق وأهميته في التفريق بين دلالة الكلمة مفردة ومقترنة بغيرها داخل النظم، وفى مسائل أخرى تتصل بالسياق، وننتهي إلى القول بأن أكثر القائلين بوقوع الترادف، إنما جرهم إلى ذلك عدم مراعاة وقوع هذه المفردات في النظم القرآني، لأنه لا يجوز التسوية بين دراسة فروق الألفاظ كمفردة ترد في المعجم، ومفردة تجري في سياق بليغ مؤثر يمتلك الغاية في الفصاحة والبلاغة، فقد أثبت الدرس اللغوي، أن اللغة مستويات مختلفة، لا ينبغي لدارس اللغة، أن يسوي بينها، ففيه المستوى العام الذي يلجأ إليه أفراد البيئة اللغوية في مخاطباتهم في شؤون حياتهم، وفيها المستوى البليغ المؤثر، وذلك يتمثل في القرآن الكريم، وكذلك لغة الشعراء والكتاب الفصحاء[٧٣].

خصوصة استعمال ألفاظ القرابة:

يشكل حضور ألفاظ القرابة أحد المؤشرات على قيمتها وأهميتها في كتاب الله العزيز، وأقصد بالحضور هنا، الحضور المصطلحي والمفاهيمي المتعلقة بها، من خلال مجموعة من الألفاظ الدالة عليها، ومن خلال نسق من المفاهيم التي ترتبط بموضوعاتها من جهة أخرى، على أن أكبر حضور لألفاظ القرابة نستطيع تلمسه، بالأرقام والدلالات من خلال الألفاظ الدالة: (كالزوج والمرأة، والأم والوالدة، والأب والوالد، وأهل وآل). فمن خلال التتبع والمقارنة بين عدد من الآيات التي وردت فيها مثل هذه الألفاظ يظهر لنا أن القرآن الكريم كان دقيقا في استعمال هذه المفردات في سياق الآيات الكريمة، ومن هنا يأتي التساؤل الذي سنحاول الإجابة عنه. لماذا

---

[٧٣] – انظر:العزاوي، نعمة رحيم، **مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة**،، مطبعة المجمع العلمي، بغداد،٢٠٠١م، ص:١٠٠– ١٠١.،

استعمل القرآن الكريم (لفظ زوج مرة، وامرأة مرة أخرى، وأب مرة ووالد مرة أخرى، وأهل مرة وآل مرة أخرى)؟، وما الغرض من هذا التنوع في الاستعمال حتى في مخاطبة المخاطب نفسه؟ وهل يمكن أن نستبدل إحدى الكلمتين بالأخرى في سياقها؟ لا يمكن الإجابة دون معرفة الفروق الدلالية مستعينين بالسياق التي وردت فيه تلك الألفاظ منطلقين من المدلولات إلى الدوال التي تنتمي إليها كل مفردة، لكي نستشف من كل مدلول على دلالته الدقيقة التي يؤديها في السياق، التي استعملت فيه.ومن هنا نعمد إلى البحث عن الألفاظ التي تبدو أنها تنتمي إلى مدلول واحد، ثم نبدأ بالبحث عن الفروق من خلال الاستعمال والسياق القرآني.

فعند استقراء الآيات القرآنية التي جاءت فيها ألفاظ القرابة، نلاحظ أن لفظي:

(زوج وامرأة) هما في الظاهر مترادفان لكنهما في الاستعمال القرآني ليس كذلك، إذ نلحظ فرقا في دلالتهما في سياق الاستعمال، لذلك نرى أن لفظ (زوج)[٧٤]، الذي يطلق على الأنثى المتزوجة، لا يساوي لفظ (امرأة) فقد استخدم كل منهما بمعنى غير الآخر.

فلفظ (زوج) يُطلق على المرأة إذا كانت الحياة الزوجية تامّة بينها وبين زوجها ، وكان التوافق والاقتران والانسجام الديني والإنجاب تامّاً بينهما، فإن لم يكن التوافق والانسجام كاملاً، ولم يكن الإنجاب ولم تكن الزوجية متحقّقة بينهما، فإن القرآن يطلق عليها "امرأة" وليست زوجاً، ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى:(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[٧٥]، وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)[٧٦].

---

[٧٤] – يستعمل لفظ ""الزوج"" للدلالة على المرأة والرجل معا وهو الأفصح والأصح في اللغة.
[٧٥] – سورة الروم، آية:٢١..
[٧٦] – سورة الفرقان، آية:٧٤.

وبهذا الاعتبار جعل القرآن حواء زوجاً لآدم، في قوله تعالى: "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ"(٧٧)، وجعل القرآن نساء النبي ﷺ "أزواجاً" له، في قوله تعالى:"النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ"(٧٨).

فإذا لم يتحقّق الانسجام والتشابه والتوافق بين الزوجين لمانع من الموانع فإن القرآن يسمّي الأنثى "امرأة" وليس "زوجا"، نحو: امرأة نوح، وامرأة لوط، ولم يقل: زوج نوح أو زوج لوط ، نحو قوله تعالى:(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا)(٧٩) فأطلق لفظ امرأة وليس زوج لأنهما كافرتان، مع أن كل واحدة منهما امرأة نبي، ولكن كفرها لم يحقّق الانسجام والتوافق بينها وبين زوجها النبي؛ ولهذا ليست "زوجاً" له، وإنما هي "امرأة"(٨٠). ولهذا ورد لفظ امرأة فرعون، في قوله تعالى : "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إذ قالت ربّ ابنِ لي بيتاً في الجنة ونجّني من فرعون وعمله) (٨١)؛ لأن بينها وبين فرعون مانع من الزوجية، فهي مؤمنة وهو كافر، ولذلك لم يتحقّق الانسجام بينهما ، فهي (امرأته) وليست (زوجه).

ومن روائع التعبير القرآني العظيم في التفريق بين (زوج) و(امرأة)، عندما يكون تعطيل للنماء بعقم بعدم الإنجاب، فهي (امرأة) لا(زوج)(٨٢) ما جرى في إخبار القرآن عن دعاء زكريا عليه السلام، أن يرزقه ولداً يرثه، عندما كانت امرأته عاقراً أطلق عليها القرآن كلمة (امرأة)، قال تعالى على لسان زكريا:(وَكَانَتِ امْرَأَتِي

---

(٧٧) – سورة البقرة، آية: ٣٥.
(٧٨) – سورة الأحزاب، آية ٦.
(٧٩) – سورة التحريم، آية: ١٠.
(٨٠) – انظر: بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن، **الإعجاز البياني للقرآن**،دار المعارف القاهرة،١٩٧١، ص: ٢٢٩ ، ٢٣٠ .
(٨١)- سورة التحريم، آية:١١.
(٨٢)- انظر: المرجع نفسه، ص: ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا)[٨٣]، وعندما أخبره الله تعالى أنه استجاب دعاءه، وأنه سيرزقه بغلام، أعاد الكلام عن عقم امرأته ، فكيف تلد وهي عاقر، قال تعالى:(قَالَ رَبِّ أَنَّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء)[٨٤] وحكمة إطلاق كلمة (امرأة) على (زوج) زكريا عليه السلام أن الزوجية بينهما لم تتحقّق في أتمّ صورها وحالاتها ، رغم أن امرأة سيدنا زكريا عليه السلام كانت مؤمنة ، وكانا على وفاق تامّ من الناحية الدينية الإيمانية، ولكن عدم التوافق والانسجام التامّ بينهما، كان في عدم إنجاب امرأته ، والهدف (النسلي) من الزواج هو النسل والذرية ، فإذا وُجد مانع بيولوجي عند أحد الزوجين يمنعه من الإنجاب، فإن الزوجية لم تتحقّق بصورة تامّة. وبعدما زال المانع من الحمل، وأصلحها الله تعالى ، وولدت لزكريا عليه السلام ابنه يحيى ، فإن القرآن لم يطلق عليها "امرأة" ، وإنما أطلق عليها كلمة (زوج) ، لأن الزوجية تحققت بينهما على أتمّ صورة، قال تعالى : (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ)[٨٥].

وهكذا نلاحظ أن اللفظان (امرأة) و(زوج)غير متطابقين في الدلالة، وهناك فرق في دلالتهما يظهر في سياق الاستعمال. فإذا تحقق التوافق والمودة والانسجام في العقيدة، والإنجاب،فالخطاب في القرآن الكريم يكون بلفظ (زوج)، نحو خطاب الله تعالى لآدم:(وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ)[٨٦]، وقوله تعالى:(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[٨٧]، وهكذا تكون دلالة لفظة زوج في بقية الآيات[٨٨] .

---

(٨٣)- سورة مريم، آية:٥.
(٨٤)- سورة آل عمران، آية:٤٠.
(٨٥) – سورة الأنبياء، آية:٨٩،٩٠.
(٨٦) – سورة البقرة، آية: ٣٥
(٨٧)- سورة الروم، آية: ٢١.
(٨٨) – انظر: سورة الزخرف ،آية:٧٠ ،وسورة يس ،آية:٥٦،وسورة الفرقان، آية:٧٤.

وإذا لم يتحقّق الانسجام والتشابه والتوافق الكامل بين الزوجين لمانع من الموانع فإن القرآن يسمّي الأنثى (امرأة) وليس (زوجاً).[٨٩] فقد فرق القرآن الكريم بين الألفاظ التي تبدو مترادفة، في استخدم كل لفظ في مكانه المناسب، فلفظ زوج يختلف في دلالته عن لفظ امرأة، وواضح ذلك عند استخدام التعبير القرآني للفظ زوج عند استقرار الحياة الزوجية .

لفظ (الأب والوالد):

الأب في اللغة: سبب وجود الشيء أو إصلاحِه، أو ظهوره[٩٠]، وسُمِّيَ الأبُ أبًا؛ لأنه يقوم على إصلاح الأبناء ورعايتهم بالتربية والغذاء[٩١]، والوالد في اللغة:الأب المباشر، الذي هو سبب وجود الابن[٩٢]، فالوالد خاصٌّ، والأب عامٌّ، والاستعمال القرآني للفظين يُراعي ما لكلٍّ منهما من ملامح دلالية خاصة، فقد تنوعت دلالة كلمة (الأبُ) في القرآن الكريم فقد دلت على الأب الأدنى المباشر، نحو قوله تعالى:(إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)[٩٣].ونحو قوله تعالى:(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[٩٤].

---

[٨٩] ملتقى أهل التفسير،الملتقى العلمي وعلوم القرآن،عنوان الموقع:http://vb.tafsir.net/tafsir25689/#.VFfyazSsWCO تاريخ : ٢٢/٠٤/١٤٣٢هـ- ٢٧/٠٣/٢٠١١ م .

[٩٠] - الراغب ،الأصفهاني ، الحسين بن محمد، المفضل أبو القاسم، **مفردات ألفاظ القرآن الكريم**، مادة (ا ب ا)، ط١، تحقيق عدنان داودي ، دار القلم ، دمشق، ١٩٩٢م.

[٩١] – أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، **مقاييس اللغة**، (أ ب و)، تحقيق: عبد السلام هارون،اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ، ٢٢٠٢م

[٩٢] – انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، طبعة دار المعارف ، د.ت ، وانظر: **مفردات ألفاظ القرآن الكريم** ، الراغب الأصفهاني (و ل د)

[٩٣] سورة يوسف، آية: ٤.

[٩٤]– سورة الأنعام، آية: ٧٤.

كما يُطْلَق لفظ(الأب) على الجدِّ وإن بَعُد، نحو قوله تعالى:(مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ)[٩٥]، كما ورد لفظ (أب) مجموعاً للدلالة على سلسلة الأجداد نحو قوله تعالى:(قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا)[٩٦]، وقوله تعالى: (أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ)[٩٧].

وهذا الاستعمال القرآني مرتبط باتِّساع الأصل اللغوي لكلمة (أب) وشمولها لكل ما كان سببًا في وجود الشيء[٩٨]، أو رعايته أو ظهوره فقد أطلقت على الأب والعم والجد. نحو قوله تعالى:(أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[٩٩]، وإسماعيل لم يكن من آبائهم وإنما كان عمهم، وفي التنزيل قوله تعالى: (وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ)[١٠٠].

أمَّا لفظ "الوالد" في الاستعمال القرآني فقد اقتصر على معنى الأب المباشر الذي هو سبب وجود الابن، وفى أكثر المواضع جاء بصيغة المثنى إيماءً إلى أن الأنثى هي الوالدة على الحقيقة، وأُلحِقَ بها الأبُ[١٠١]؛ لأنه السبب المباشر في وجود الابن، ومن ذلك قوله تعالى:(لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)[١٠٢]، ونحو قوله تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في

---

[٩٥] – سورة الحج، آية: ٧٨.
[٩٦] – سورة البقرة آية: ١٧٠
[٩٧]– سورة الشعراء، آية:٧٦.
[٩٨]– الراغب ،الأصفهاني ، الحسين بن محمد، المفضل أبو القاسم، **مفردات ألفاظ القرآن** الكريم، مادة (ا ب ا)،
[٩٩]– سورة البقرة، آية: ١٣٣
[١٠٠] – سورة يوسف، آية:٣٨
[١٠١] – انظر: المطعنى ،عبد العظيم إبراهيم ، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، مكتبة وهبه، ١٤ شارع الجمهورية– عابدين، القاهرة.، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م. ٢٨٣/١.
[١٠٢] – سورة البقرة، آيه: ٨٣

عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير)[١٠٣]، وباستقراء الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ (الوالد و الوالدين) يدلنا على دقة التعبير القرآني؛ حيث إن الوالد . وهو الأب الأدنى أي(المباشر) دون غيره . فقد استُعمِل في سياقات تقتضى قوة الرابطة والعاطفة، نحو قوله تعالى: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)[١٠٤]، حيث المقام هنا مقام صلة روحية وعاطفية بين (الوالد والوالدة) وولدهما، والأمر الإلهي بالإحسان إلى الوالدين يشمل كل ما يدخل على نفسيهما البهجة والسرور من مظاهر التقدير والإجلال والإكبار، اعترافا بأفضالهما، ومحاولة لرد شيء من رعايتهما وتربيتهما لأبنائهما في الصغر. وقد نبَّه القرآن الكريم على قوة هذه الرابطة العاطفية في قوله قوله تعالى: (اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا)[١٠٥]، قد تضمَّنت الآية نفي النفع والشفاعة بأبلغ وجه، فكأنه قيل: إن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنَى الذي ولِدَ منه لم تُقْبَل شفاعته، فضلًا عن أن يشفع لمن فوقه[١٠٦].

نخلُص مما سبق إلى أن القرآن الكريم راعَى في استعمال هذين اللفظين (الأب والوالد) الملامح الدلالية، فقد ميَّزَ الاستعمال القرآني بين كلا اللفظين بملامح دلالية فارقة، فالملامح الدلالية الفارقة المميزة للأب، دلالته على الأجداد والأعمام، ودلالته على الرعاية والتربية، فقد يكون والدَك، وقد يكون عمك، وقد يكون جدَّك، وقد يُطلق على الجد البعيد. بينما تَميَّز (الوالد) في الاستعمال القرآني بملامح دلالية فارقة بدلالته على الأب المباشر، وهذا بدوره يعني قوة الرابطة والصلة العاطفية القوية.

---

(١٠٣) –سورة لقمان، آية:١٤.
(١٠٤)– سورة الإسراء ، آية: ٣١.
(١٠٥) – سورة لقمان، آية:٣٣
(١٠٦)– المنجد، محمد نور الدين ،**الترادف فى القرآن الكريم**، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى،١٩٩٧م، ص: ١٤٢.

لفظ الأم والوالدة:

عُبر عن مفهوم الأمومة في القرآن الكريم تارة بلفظ (الأم)، وتارة بلفظ (الوالدة)، وقد فرق القرآن الكريم بينهما تفريقاً واضحاً، فلكلمة(أم) من الإيحاءات والمعاني، ما ليس لكلمة (والدة)، فالأم من الأمومة، أما الوالدة فهى من فعل الولادة، ولدته أمه ولادة، فهي والدة على الفعل، ووالد على النسب، ويقال لأم الرجل هذه والدة وولدت المرأة ولآدا وولادة وأولدت، أي حان ولادها[١٠٧]، ولدى استقراء آيات الذكر الحكيم المعبرة عن ألفاظ الأمومة، ولدى قراءتها قراءة متأنية يتبين أن القرآن الكريم عبر عن المعنى المقصود باللفظ المناسب، من حيث أن الله تعالى يطلق لفظ (الوالدة) على المرأة التي تنجب قال تعالى: " وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)[١٠٨].

وهذه الوالدة التي تحمل وتلد وترضعه هي محل البر والإكرام كالوالد لا فرق بينهما من حيث وجوب البر بهما، لقوله تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا)[١٠٩])، واللافت للنظر هو أن لفظ الأم بصيغتي المفرد والجمع (أم وأمهات) لا يرد في القرآن إلا مضافاً: (أمي، أمه، أمهاتكم، أمهاتهم...)[١١٠]، لنرى ما الحكمة من وراء استعمال لفظ الأم تارة ؟ ومتى جاء ذكر لفظ الوالدة تارة أخرى؟ ولماذا اختلف سياق ذكرهما؟

فالاستعمال القرآني للفظين يُراعي ما لكلٍّ منهما من ملامح دلالية خاصة، فقد تنوعت دلالة كلمة (الأم) في القرآن الكريم، لتدل على الوالدة، كما وردت لتدل على غير الوالدة، والتي هي بمنزلة الوالدة في التحريم مثلاً، أو أن تكون أماً في

---

[١٠٧] – ابن منظور، لسان العرب، مادة ولد.
[١٠٨] – سورة البقرة، آية: ٢٣٣.
[١٠٩] – سورة الإسراء، آية:٢٣.
[١١٠]– انظر: سورة الأحزاب، آية: ٤ و ٦، والنساء، آية : ١١، و٢٣، والمجادلة، آية:٢، والزمر آية ٦، والنجم، آية:٣٢، ولقمان، آية: ١٤، الأحقاف، آية ١٥، والنحل آية: ٧٨، النور، آية ٦١، وعبس، آية ٣٤، ٣٥... وغيرها.

الرضاعة ، نحو قوله تعالى:(الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسائِهِمْ ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ إِنْ أُمَّهاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ)[١١١] ، فالأمهات الحقيقيات هن والدات وغيرهن ملحقات بهنّ لدخولهنّ في حكمهنّ، نحو المرضعات أمهات؛ لأنهن لمّا أرضعن دخلن بالرضاعة في حكم الأمهات،وكذلك، نساء(زوجات) الرسول ﷺ أمهات المؤمنين، لأن الله حرم نكاحهنّ على الأمة، فدخلن بذلك في حكم الأمهات[١١٢]، كما ورد لفظ (الأم) في مواضع متعددة من القرآن الكريم لتدل على الوالدة الحقيقية، فقد خاطب القرآن الكريم أم موسى في قوله تعالى(وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم)[١١٣]، كما وردت الإشارة إلى مريم أم عيسى للتنبيه على أن هذه الأمومة كانت معجزة له ولها، نحو قوله تعالى: (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين)[١١٤]، فحيثما ذكر عيسى عليه السلام في القرآن الكريم نسب إلى أمه من دون الأنبياء، وذلك تنبيها على معجزة ولادته من أم وليس من أب، فقد أثبت له هذا النسب أنه ولد مريم اتصل بها اتصال الأولاد بأمهاتهم[١١٥]، كما وردت لفظة (أم) جمعاً في القرآن الكريم في آيات التحريم، كذكر المحرمات من النساء في الزواج ومنهن(الأمهات، وأمهات الزوجات، والأمهات من الرضاعة...) .

أما لفظة (والدة) فقد وردت في القرآن الكريم لتحديد الدلالة والتنبيه على الأم الحقيقية، في حديث سيدنا عيسى عليه السلام وهو في المهد صبيا قال:

---

[١١١] - سورة المجادلة، آية ٢.

[١١٢] – الزمخشري، جار الله ،**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ، دار الفكر بيروت، ١٩٧١م، ج٤/٧٠.

[١١٣] – سورة القصص، آية: ٧

[١١٤] – سورة المؤمنون، آية:٥٠.

[١١٥] – الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**،، دار الفكر، بيروت ١٩٧١م، ج١/٥٨٥.

(وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً)[١١٦]. ففي الآية وردت لفظة (والدتي) ولم يقل (أمي)تنبيها للناس أنه ولِد منها حقيقة ومنسوب إليها فقط، كما ورد البر مقترناً بالوالدين دون الأبوين، وهنا خص ذكر قول سيدنا عيسى براً بوالدتي لأن سيدنا عيسى عليه السلام، لا والد له[١١٧] .

كما فرق القرآن الكريم بين (الأم والوالدة)، من حيث أن الله عز وجل يطلق (الوالدة) على المرأة التي تنجب الطفل بغض النظر عن مواصفاتها وما يتبع ذلك من حمل وإرضاع، فقد ورد ذكر(الوالدات) في موضع التنبيه على وجوب رعاية وإرضاع أطفالهن منسجماً مع سياقاتها في سياق تذكير الأمهات بأنهن المسؤولات عن رعاية أولادهن ولا سيما في صغرهم، وتذكيراً بصفة الولادة بين الطفل وأمه، في قوله تعالى:(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)[١١٨]، كما ورد لفظ (والدة) في نفس الآية مقترنا بوجوب رعايتها بولدها في قوله تعالى:(لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ)[١١٩]، أما لفظ (أم) فله دلالة عامة تختفي فيه صفة الولادة، وما تحمله من ظلال لذلك كانت الأكثر استعمالا في القرآن الكريم حيث ذكرت في سياقات مختلفة.

أما لفظ(آل) و(أهل) فقد دلت آيات القرآن الكريم أن لفظ(آل) لا يساوي لفظ (أهل)، فلفظ (آل) وردت بالقرآن الكريم بمعنى أتباع الرجل ومن هم على دينه المناصرين له سواء من أقاربه أو من غير أقاربه[١٢٠]، كلهم مجتمعين يسمون (آل الرجل) لنجد أن القرابة ليست شرطا ليطلق على الفرد أنه من آل فلان، وإن انتفاء

---

[١١٦] – سورة مريم، آية: ٣٢.
[١١٧] – القرطبي، أبو عبدالله، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، ،ط٣، دار الكتب المصرية. ج ١١/١٠٣.
[١١٨] – سورة البقرة، آية:٢٣٣
[١١٩]– سورة البقرة، آية:٢٣٣.
[١٢٠]– الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير،**تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن**.، نحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف – مصر، د.ت.ج ٦/٣٢٩..

شرط الأتباع والنصرة للرجل يخرج الفرد من دائرة آل فلان حتى وإن كان من القرابة، حيث أن امرأة فرعون لم تكن من آل فرعون، ولا من أهل فرعون رغم أنها زوجته، والسبب أنها لم تتبع فرعون ولم تناصره، وإنما كانت مؤمنة بموسى عليه السلام، إذ قالت : (رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)(١٢١)، وقوله تعالى:(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)(١٢٢)، كما أخرج الله سبحانه وتعالى امرأة لوط من آل لوط لأنها لم تتبع وتناصر سيدنا لوط عليه السلام، رغم وجود علاقة القرابة، قال تعالى:(إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته قدرناها من الغابرين).

أما لفظ (أهل) فقد وردت في المعجم بمعنى أهل الرجل وعشيرته، وذوو قرباه به.(١٢٣) فقد دلت الآيات القرآنية أنها تطلق على الأتباع والمناصرين لبعضهم لوجود علاقة قرابة، فإن انتفاء شرط من شروط(الإتباع، والمناصرة، والقرابة) يخرج الفرد من دائرة الأهل حتى ولو كان من القرابة، ودليل ذلك أن ابن نبي الله نوح عليه السلام لم يكن من أهل نوح لأنه ليس من أتباعه، وأنصاره رغم قرابته.

وهكذا فالقرآن الكريم ينتقي الألفاظ بدقة، فيختار اللفظة دون نظيراتها،لأنها أنسب للمعنى، وأفضل للسياق، فقد وردت لفظة ولد ومولود ووالد دون استخدام الأب في قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا)(١٢٤)،فاستخدام مولود دون الولد أو الابن، بقصد التنبيه على أن تلك الصلة العاطفية القوية، لا تنفع صاحبها للتعرض لشفاعة ونفع والده المشرك في الآخرة، وفاءً له على تجشم تربيته صغيرا(١٢٥).

---

(١٢١)– سورة التحريم،آية:١١
(١٢٢) – سورة غافر، آية: ٤٦
(١٢٣) – انظر: ابن منظور، **لسان العرب** ، ج١ /١٦٤،١٦٣.
(١٢٤)– سورة لقمان ، آية ٣٣
(١٢٥)– ابن عاشور، محمد طاهر، **التحرير والتنوير**،، الدار التونسية للنشر، د. ت،١٩/٢١.

خلاصة القول بعد هذا الطواف الماتع في خصوصية استعمال المفردة القرآنية، نجد أن القرآن الكريم يختار اللفظة دون غيرها مراعيا الفروق الدلالية الدقيقة بينها، من ذلك ألفاظ القرابة الموهمة في الترادف، إذ وردت كل لفظة في سياقها مؤدية معناها بدقة، لا تؤديه غيرها في السياق نفسه، حيث لا يمكن أن تكون هناك كلمات تتفق في دلالتها اتفاقا تاما، حتى وإن سلّمنا جدلاً بوجود الترادف في اللغة، ذلك لأن اللغة كثير ما نستعملها ولا نلحظ جمال الفروق الدقيقة بين معاني ألفاظها، لكن وجود الترادف لا يعني وجوده بالضرورة في القرآن الكريم، إذ يستحيل أن نجد مفردتين في القرآن الكريم تردان في سياقات مختلفة، وتحملان المعنى الدقيق نفسه، لأن لكل لفظة خاصية تتميز بها عن غيرها في بعض معانيها، وإن اشتركا في بعض المعاني .

المراجع والمصادر:

١- الإسكافي، محمد بن عبدالله، درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، دار الآفاق الجديد – بيروت ، د.ت.

٢- الأصفهاني، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية،ط١، ٢٠٠٨م.

٣- الأصفهاني، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة، د. ت.

٤- ابن الأنباري محمد، الأضداد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،المكتبة العصرية بيروت، ١٩٩٨م.

٥- بتر جون، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧م.

٦- بدوي، أحمد أحمد، من بلاغة ا لقرآن الكريم، نهضة مصر، مارس، ٢٠٠٥م.

٧- بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٦٦م .

٨- بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن، من مقال أسرار العربية في البيان القرآني ، مجلة اللسان العربي ، المجلد الثامن، المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، جامعة الدول العربية، المملكة المغربية– الرباط.

٩- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت– لبنان، ١٩٨٠ .

١٠- الجاحظ، أبو عثمان بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة١٩٩٢.

١١- الجرجاني، عبد القاهر،بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر،مكتبة الخانجي،٢٠٠٨م.
١٢- ابن جني، عمرو بن بحر، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية ، د. ت.
١٣- الحربي، حسين بن على، قواعد الترجيح عند المفسرين، دراسة نظرية تطبيقية. ط١. الرياض: دار القاسم، ١٤١٧هـ .
١٤- حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠م.
١٥- ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد ،كتاب أسماء الأسد ، تحقيق د.محمود جاسم الدرويش ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٩٨٩ م .
١٦- ابن خالوية، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، كتاب الريح، قدمه وضبطه وعلق عليه، حسين محمد محمد شرف، جامعة الملك عبد العزيز، المدينة المنورة ١٩٨٤،م
١٧- خضر، مصطفى محمد عبد المجيد، الألفاظ والدلالة في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ٢٠١٠م.
١٨- الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل قي إعجاز القرآن، تحقيق : محمد خلف الله، ومحمد زغلول، دار المعارف – مصر ،ط٣، ١٩٧٦م
١٩- رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، القاهرة: دار المنار، د.ت.
٢٠- الرمّاني، أبو الحسن علي بن عيسى، الألفاظ المترادفة، تحقيق فتح الله صالح علي المصري، دار الوفاء للطباعة والنّشر والتوزيع- المنصورة ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م .

٢١- الزمخشري، جار الله ،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر بيروت، ١٩٧١م.
٢٢- السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل،١٩٨٩م.
٢٣- ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق، الألفاظ، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
٢٤- سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، ١٩٨٨م.
٢٥- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ،الإتقان في علوم القرآن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر،ط٣، ١٩٥١م.
٢٦- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
٢٧- الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين،بيروت،ط٣، ١٩٦٨م.
٢٨- الطباطبائي ، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات لنلن، ١٩٩٧م.
٢٩- الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر ، د. ت
٣٠- عباس،فضل حسن،إعجاز القرآن الكريم،دار الفرقان،عمان، ط٢٠٠١،٤م.

٣١- عتيق، عمر عبد الهادي، الترادف في القرآن الكريم بين الرفض والقبول، رابطة بلاد الشام، لندن- بريطانيا، ٢٠٠٨م. عنوان الموقع: http://www.odabasham.net/show.php?sid=21771

٣٢- ابن العربي، أبو بكر محمد، أحكام القرآن، تحقيق محمد على البجاوي. بيروت: دار المعرفة، د.ت.

٣٣- العزاوي، نعمة رحيم، مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة، مطبعة المجمع العلمي، بغداد،٢٠٠١م.

٣٤- العسكري ، أبو هلال ،الفروق اللغوية، الدار العربية للكتاب، الطبعة السادسة ،١٩٨٣م.

٣٥- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، كتاب الصناعتين ،تحقيق: محمد أبو الفضل، مصر، ١٩٧١م.

٣٦- ابن عطية، عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت،١٩٩٣م.

٣٧- ابن فارس، أحمد، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها تحقيق: أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،د . ت.

٣٨- ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون،اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٣٩- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز، في لطائف الكتاب العزي، تحقيق: محمد علي النجار،وعبد العليم الطحاوي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٦م.

٤٠- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، أدب الكاتب، ص: ١٧،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية مصر، ط٤، ١٩٦٣م.

٤١- مصلوح ،سعد، الأسلوب، دراسة لغوية إحصائية، مطبعة حسان، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م.

٤٢- المطعنى ،عبد العظيم إبراهيم، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبه، ١٤ شارع الجمهورية- عابدين، القاهرة.، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م.

٤٣- ملتقى أهل التفسير، الملتقى العلمي وعلوم القرآن، عنوان الموقع: http://vb.tafsir.net/tafsir25689/#.VFfyazSsWCO تاريخ: ١٤٣٢/٠٤/٢٢هـ- ٢٠١١/٠٣/٢٧ م.

٤٤- المنجد، محمد نور الدين ،الترادف فى القرآن الكريم، ، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى،١٩٩٧م.

٤٥- الهمذاني، عبد الرحمن، بن عيسى، الألفاظ الكتابية، تحقيق: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت- بيروت، ١٩٩١م.

٤٦- ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، دار المكتبي، دمشق،ط١، ١٩٨٥م.